اللغة العربية في الهند
بين
الماضي والحاضر والمستقبل

الدكتور: معين الدين الاعظمي

مرت اللغة العربية فى الهند بثلاث فترات ومراحل واضحة ، وتميزت فى كل منها ببعض المحاسن والمساوىء والفضائل والنقائص وهى :

1 — فترة بعد قدوم المسلمين .

2 — فترة بعد مجيء الانجليز .

3 — فترة بعد حصول البلاد على الاستقلال .

ان هذا الاستعراض او هذه الدراسة الوجيزة لوضع اللغة العربية فى هذه الاحقاب الطويلة التى تمتد الى حوالي اثنى عشر قرنا لا يخلو من فائدة ، لانه يقدم لنا مدى نجاحنا ونشلنا فى هذا المجال ، وماذا يجب أن نقوم به من الاعمال ونتخذ من الخطوات والاجراءات لتنميتها وترويجها.

1 — بعد قدوم المسلمين :

ان اللغة العربية ، من أقدم اللغات الاجنبية الشرقية منها والغربية التى أتت الى البلاد ونمت وازدهرت وانتشرت فيها — ولكنها نالت قبولا ورواجا واهتماما بصورة خاصة منذ قدوم المسلمين الى الهند فى الربع الاول من القرن الثامن الميلادى ، كانت هذه اللغة فى وضع وموقف أحسن من اللغات الاجنبية الاخرى ، ذلك انها تلقت تأييدا قويا وحماسيا وتطوعيا من جانب المسلمين الذين يشكلون اكبر جالية واضخم عدد فى الهند ، وقد تزايد هذا الاهتمام حسب مرور الايام والقرون ، مع ازدياد عدد المسلمين وانتشار التعليم فيهم ، وقد اهتم المسلمون بهذه اللغة فى الماضى لكونها لغة دينهم ، ولم يكن الهدف الوظيفة والكسب المادى من هذه اللغة آنذاك بل بالعكس كان يعد ذلك عيبا .

يبدو انه لم يكن هناك نظام مؤثر ومنظم على مستوى قوى لتدريس وترويج هذه اللغة فى الهند بل كان المهتمون بها يتوجهون الى منازل وبيوت المتخصصين والعلماء فى هذه اللغة ، ومن الاسف الشديد والبالغ أن هذه اللغة لم تنل رعاية وعناية واهتماما لائقا وواجبا من حيث عدد المسلمين ومن حيث قوتهم ونفوذهم وسيطرتهم بمثل ما نالت اللغة الفارسية أيام حكم المسلمين فى الهند فانها نالت اهتماما اكثر واشد ، ومن هنا كانت تدرس وتعلم اللغة الفارسية بين المسلمين وغير المسلمين على السواء .

ومع ذلك كان المسلمون الذين تخصصوا ونبغوا وتبحروا فى هذه اللغة العربية الفوا مؤلفات هامة فى العلوم الدينية مثل التفسير والحديث والفقه وفروعها.

2 — بعد مجيء الانجليز :

فى العهد الانجليزى كان هناك مركزان لتدريس وتعلم اللغة العربية فى الهند .

المركز الاول : كانت المدارس الدينية العربية، وقد قامت هذه المدارس الاسلامية بدور فعال ومؤثر فى ترويج ونشر وتعميم اللغة العربية .

المركز الثانى : كانت الجامعات الحكومية التى فتحت فيها أقسام اللغة العربية ، هذا المركز الثانى ايضا لعب دورا فى مجال تعليم اللغة العربية حيث انه دعم وساند حركة ترويج هذه اللغة والبحث والتحقيق فيها .

وقد كانت هناك ميزات مختلفة شديدة الاختلاف للمتخرجين من هذين المركزين ، فالذين كانت لهم

صلات بالمدارس الدينية العربية كانوا يقرأونها ويكتبونها بصحة ، وخاصة من الناحية النحوية والصرفية ويفهمونها بعمق وبراعة ولكنهم كانوا لا يحسنون المحادثة بتعبير صائب وأسلوب سليم وقويم ، ومن هنا يمكن القول أن معرفتهم لهذه اللغة بوجه عام ، كانت معرفة غيرنا فان المعرفة التامة هي ان يجيد اللغة قراءة وكتابة ومحادثة .

وقد كان لهذا النقص أسباب اهمها عدم الحاجة الشديدة الى المحادثة وعدم وجود الروابط الثقافية الوثيقة بين الهند والبلدان العربية ، فكان أسلوبهم يتسم بالركاكة والضعف ، ولاعجب فان اللغة العربية في تلك الفترة كانت سقيمة في الدول العربية ايضا .

والضعف الآخر هو أن معظم هؤلاء المتخرجين من المركز الاول اى المدارس العربية الدينية ، كانوا لا يجيدون اللغة الانجليزية بل كانوا يجيدون اللغة الفارسية والأردية — وكانت معرفة هذه اللغات لسد حاجة المسلمين الدينية في ذلك — .

أما المتخرجون من المركز الثاني أى الجامعات الحكومية فكانوا ، يتقنون اللغة الانجليزية فهما وقراءة وكتابة ومحادثة ، ولكن اللغة العربية التي كانت هي المادة الدراسية الاساسية لهم فكانوا فيها ضعفاء الى حد مؤسف والى ادنى مستوى في القراءة والفهم والتحدث والكتابة ، فكانوا يفضلون التحدث باللغة الانجليزية على التحدث باللغة العربية ، وان المتخرجين من هذه الجامعات بدلا من الحصول على شهادة الماجستر والدكتوراه من الدول العربية كانوا يحصلون عليها من بريطانيا والمانيا ويكتبون رسائلهم وابحاثهم في اللغة الانجليزية بدلا من اللغة العربية .

مع أنه من الواجب أن الشخص الذي تخصص في اللغة العربية أو أية مادة اخرى أن يكون قويا فيها، واذا حدث أو تحتم عليه أن يكون ضعيفا فيجب أن يكون في لغة ومادة ثانوية .

وتلك الميزة لا تزال توجد في المتخرجين من هذين المركزين وهذه الحالة المحزنة والظاهرة الغريبة بل الداء العضال الطويل يجب اصلاحها وعلاجها ، فان الاستمرار فيها يؤدي الى قلة الانتاج العلمي الاصيل في اللغة العربية .

ولكن مع هذا النقص في تعلم اللغة العربية نرى أنه قد استمرت حركة التصنيف والتاليف في هذه اللغة وخاصة من جانب المركز الاول مثلما كان في العهد الاسلامي بل واكثر منه حول العلوم الدينية ، فتوجد هناك مؤلفات أصيلة قيمة وافرة في هذه اللغة ، ومساهمة العلماء في هذين المعهدين في هذا المجال من اروع واجل واغلى المساهمات من جانب دولة اسلامية غير عربية ، وانها حقا مفخرة الهند الآن ، وبها كان لنا ما من مشرق سني ومشع في هذه اللغة.

وفي هذه الفترة ايضا نرى أن اهميتها لم تتعد من الناحية الدينية بصورة خاصة وكانت تعتبر لغة يدرسها المسلمون والذي بدأوا يدرسونها في الجامعات فكانوا يطمحون في الحصول على وظائف حكومية ، ولو انها كانت قليلة ونادرة جدا في هذين المعهدين .

3 — فترة بعد حصول البلاد على الاستقلال :

والواقع بعد الحصول على الاستقلال ان اللغة العربية قطعت شوطا بعيدا واحرزت تقدما كبيرا وملموسا بعد حصول الهند على الاستقلال، وانها تشكل عنصرا هاما لتاريخ الصداقة الهندية ، العربية العريق.

وانها وان لم تتعد اهميتها من الناحية الدينية في الماضي الا أن اهميتها بدأت تزداد وتتوسع وتتنوع منذ حصول البلاد على الاستقلال أو قبل وقت قليل من انشاء الجامعات والمراكز العالمية ، وانقلب الامر الآن واحتلت اللغة العربية مكانة اللغة الفارسية بل انها تمتاز بين اللغات الاجنبية الاخرى ايضا باعتبار أنها تعطي الفوائد المادية الجمة ويدرسها الآن عدد غير قليل من غير المسلمين.

ان الحكومة تزيد باستمرار من اماكن المدرسين لهذه اللغة في الجامعات والمعاهد كما تزيد المنح الجديدة لدارسي هذه اللغة في الادارات الحكومية ، وانه بسبب هذه المجهودات والحوافز والتشجيع والخطوات الرائعة الفريدة للحكومة نرى اهتماما اكبر بهذه اللغة ، وتوجد الآن في البلاد جماعة تقدر على الكتابة باللغة العربية باسلوب سليم ورائع فيه سلاسة وعذوبة وقوة ، وجماعة تقدر على المحادثة بطلاقة وتقدر على الترجمة من اللغة الانجليزية الى العربية وبالعكس .

كما نرى في هذه الفترة أنه استجابة لروح العصر واحساسا بالمسؤولية واحتفاظا بالتقليد الهندي

الاسلامى اصدرت بعض المعاهد الدينية والهيئات الحكومية بعض المجلات والصحف وذلك لتشجيع الكتاب على الكتابة باللغة العربية وأخبار العالم العربى بما يحدث فى الهند من نشاط عربى واسلامى وحض ما يثيره المفترون ، ومن أقدمها واهمها .

«1» « البعث الاسلامى » مجلة شهرية تصدر منذ الخمسينات الى الآن .

«2» « الرائد » وهى جريدة نصف شهرية وكلتاهما تصدران من ندوة العلماء .

«3» « الكفاح » وهى صحيفة نصف شهرية تصدر من جمعية علماء الهند فى دلهى .

«4» « ثقافة الهند » وهى مجلة حكومية تصدر من المجلس الهندى للعلاقات الثقافية لوزارة الخارجية .

«5» « الداعى » وهى تصدر من دار العلوم ديوبند الهند منذ فترة قليلة .

وهناك بعض المجلات والصحف الاخرى التى تصدر فى الهند ولكننا لسنا بصدد استيعاب وحصر هذه المجلات ، وان كل هدفنا هنا ان نذكر لبعض الانشطة والمجهودات التى تبذل فى الهند فى العصر الحاضر لتعميم وترويج اللغة العربية .

ولكن الشىء الذى نلمسه الآن هو عدم وجود الانتاج العلمى الاصيل ذى المستوى الرفيع حول العلوم الاسلامية والعربية ، وهذا جانب يستدعى اهتمام الحكومة واهتمام الهيئات الاسلامية ، لاكتساب علاج لهذا النقص والعقم ، ان مثل هذا الانتاج الاصيل لازم للاحتفاظ بتراثنا الاسلامى ولاحياء التبادل الثقافى مع الدول العربية ، ولاجل أن لا تلومنا الاجيال القادمة بالقصور والعجز فى هذا الميدان .

غير انه يجب التقدير والاعجاب بالمجهودات التى تبذل من جانب بعض الافراد والهيئات والجامعات لتحقيق المخطوطات العربية وتقديم اعمال العلماء الهنود بتحقيق وتحليل ونقد ومقارنة .

فاذا أردنا توطية وتنمية هذه العلاقات والروابط على قواعد سليمة وراسخة واذا اردنا مواجهة هذه المصالح الجديدة واذا اردنا ان تفتخر الهند بمساهمتنا فى هذه اللغة والعلوم الاسلامية كما تفتخر بمساهمتنا فى الماضى يجب :

1 ــ اعداد اشخاص يتقنون اللغة العربية والانجليزية .

2 ــ اعداد اشخاص يتقنون اللغة العربية والهندية والسنسكرتية

3 ــ اعداد اشخاص للتاليف حول الآداب العربية مع المقارنة بالآداب الهندية والأردية .

4 ــ اعداد اشخاص مؤهلين للتاليف حول العلوم الاسلامية .

فاخراج مثل هذا الانتاج العلمى الاصيل المبنى على التحليل الموضوعى الامين المخلص ، حاجة عالمنا المعاصر ، وحاجة المستقبل ، ونرى أن الجامعات تدرب وتحرض المتعلمين على القيام بالابحاث والدراسات بادخالهم فى قسم الدكتوراه .

أما المدارس العربية التى قامت بدور هام وفعال ومؤثر فى ترويج اللغة العربية فانها تقوم بمهمة التدريس عامة ولا تقوم بالدراسة والبحث ، اللهم الا بعض الجامعات الاسلامية التى قامت بتعليم اللغة العربية كلغة حية لها قيمتها واهميتها الدينية واللغوية ، والادبية وقد أدت دورا مهما جدا فى تنمية اللغة العربية وترقيتها وتوسيع نطاقها فى جميع المجالات الكتابية والخطابية والصحافية والعلمية كجامعة ندوة العلماء فى لكهنؤ الهند وتحقيقا لهذا الهدف نرى :

1 ــ تنظيم المدارس باقامة هيئة لهذه المدارس الدينية تكون جميع المدارس تابعة لها فى التنظيم والادارة .

2 ــ تفسير المناهج لهذه المدارس بحيث يستطيع الطلبة الحصول على معرفة أوسع وأعمق فى اقصر مدة .

3 ــ فتح الفصول العالية مثل اقسام التخصصات فى مختلف العلوم الادبية والاسلوبية .

وليست اهمية اللغة العربية فى الهند من ناحية المؤلفات فحسب لتكون مفخرة لنا وتساعدنا فى الاستمرار بالتبادل الثقافى بل أن لها اهمية من الناحية السياسية والتجارية والتوظيف ويجدر بنا أن نقوم باستعراض سريع خاطف لهذه النواحى ستتضح وضوحا كاملا .

الناحية السياسية :

ان اللغة العربية لغة اثنتين وعشرين دولة عربية

ومعظم هذه الدول العربية من الدول النامية الغنيـــة بالبترول ومن كتلة عدم الانحياز وفضلا عن ذلك فانها اصبحت احدى لغات الامم المتحدة واصبحت لها مكانتها الدولية.

ان هذه الدول العربية الكثيرة ولو انها صغيرة فى عدد سكانها الا أن لها تمثيلا دبلوماسيا اكبر مـــع الهند ، وان اقامة العلاقات الطيبة والوثيقة مع هذه الدول تتطلب ان يجيد الموظفون الهنود فى سفـــارات الهند فى هذه الدول ، اللغة العربية ليطلعوا بصحـــة وبطريق مباشر على ما يحدث هناك ويتبادلوا الآراء مع جماهير الناس فى لغتهم ، فان التحدث فى لغة المخاطب يزيد الود والصداقة ، وهذه العلاقة السياسية تمهد الطريق للتنمية والروابط والتعاون والتزامل فى مجالات وحقـــول وميادين اخـــرى.

الناحيـــة التجاريـــة :

ان العلاقة التجارية من اهم العلاقات بين الدول فى هذا الزمن وربما تفسر الدول موقفها السيـــاسى للحفاظ على تجارتها مع دولة لها علاقة تجارية وثيقة بهـــا.

والدول العربية اكبر سوق تجارى للهنـــد وان منتجاتنا بجميع انواعها واصنافها الالكترونية والكهربائية والهندسية والصناعية والزراعية تصدر الى هذه الدول، وكذلك فان الشركات الهندية بمختلف انواعها تحصل على التعاقدات فى الدول العربية لتنفيذ المشاريع هناك وتحتاج هذه الى اشخاص يقومون بأعمال المراسلـــة ويساعدون فى فهم رغباتها ومتطلباتها ومواصفاتها ، كما أن تصدير هذه البضائع تحتاج الى طبع الميـــزات لهذه البضائع وذكر وزنها وكميتها وسعرها ونوعيتها باللغة العربية يسهل معرفة ميزتها لهم.

ان هذه الـــدول تنقصها القوة البشرية وهـــناك فرص ساتحة للهنود للعمل فى هذه البلدان ، وتساعدهم معرفة اللغة العربية فى تادية وظائفهم مع اهالى تلك البلاد من ناحية ، واتمام مآربهم الشخصية من ناحية اخرى ، وان تطوير وتدعيم ومضاعفة هذه التجـــارة والتعاقدات والحصول على الوظائف هناك تتطلـــب الاهتمام المزيد باللغة العربية فى الهند.

التوظيف فى الهند والدول العربية :

فى الماضى لم تكن هناك وظائف حكومية لدارسى اللغة العربية الا قليلا جدا ومع ذلك كان المسلمـــون يتعلمونها ويؤلفون فيها الكتب ، ومنذ أن بدأ تأسيس الجامعات عامة ومنذ أن حصلت الهند على الاستقلال خاصة ومنذ ان بدأ الازدياد فى الروابط السياسيـــة والتجارية والتبادل الثقافى على الاخص ، نرى ان هناك وظائف حكومية كثيرة ورائجة وانها فى ازدياد مستمـــر حسب تزايد المتطلبات ، مثلا هناك وظائف واستهلاك داخلى لهذه اللغة فى وزارات الخارجيـــة والاعـــلام الداخلية والـــدفاع والجامعـــات والمراكز العلميـــة والسفارات العربية ، وقنصلياتها فى العواصم الاقليمية الهندية والشركات الهندية التى تتجر مع العرب ، كما أن هناك حاجة الطيران الهندى للموظفين فى شركتـــه.

وبعد التوسع فى التلفزيون سوف تكون هنـــاك حاجة هذه المؤسسة الى المتقنين لهذه اللغة ويمكنهم ان يحصلوا على الوظائف فى البلدان العربية وهكـــذا فانها تحل اكبر مشكلة للانسان ، الا وهى المشكلـــة الاقتصاديـــة.

المستقبـــل :

لا شك أن الصداقة والتعاون النامى بين الهند والعالم العربى سيزداد وتتوثق فى الايام والقـــرون القادمة ويساعد فى هذا التعاون العلاقات التجاريـــة المتزايدة والرحلات المريحة السريعة.

ويجب أن تطلع الى آفاق اوسع لخير الشعبين فى البلدين فى المستقبل. ، وكلما يزداد هذا التعـــاون مع هذه الدول تزداد اهمية اللغة العـــربية فى الهنـــد واهمية اللغة الهندية فى الدول العـــربية.

ومن هناك تكون هناك فرص كثيرة للتوظيـــف وتعاون اكثر واكثر توثقا من ذى قبل ، وسيكون تعلم اللغة العربية من المصالح القومية بجانب المصالـــح الدينية الفردية للمسلمين.

وبهذا الاستعراض السريع لدور واهمية اللغة العربية فى الهند يظهر جليا ان هذه اللغة تمثل وتتبتع بمكانة فريدة وخاصة بين اللغات الاجنبية فى الهنـــد ولها مستقبل مشرق ومبشر بالنجاح.

---

* ملحوظـــة : منقولة حرفيا وبـــدون تصرف عـــن صحيفة الرائد ـــ الهند 1 ـــ 6 يوليوز 1980 .